يحيى بن الحكم الغزال

سفير الاندلس وشاعرها الواقعي

(١٥٠ ـ ٢٥٠ هـ / ٧٦٤ ـ ٨٦٤ م)

الدكتور حكمة علي الأوسي

اصله من جيان . وقد لقب بالغزال لجماله ، فقد كان جميلا في صباه وسيما في كهولته . وكان شاعراً متمكناً ذا مقدرة تعبيرية ادبية عالية ، له خاطر حاد ، وبديهة سريعة وتمرس بأساليب الدخول والخروج من كل باب من ابواب الكلام [١] .

وبسبب هذه الصفات التي كان يتحلى بها أوفده عبدالرحمن الأوسط في سفارة له الى ملك النورمان الشماليين في الدانمارك [٢] وبصحبته يحيى بن حبيب وقد صادفته الأهوال في الطريق بسبب هياج البحر وعصف الريح حينما وصلوا الى الحد الاعلى من شمال غرب الجزيرة عند ملتقى البحر الاطلنتي بخليج بسكاي ، ووصف الغزال هذه العاصفة البحرية بقوله [٣] :

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال
شقت القلعين وانبتت عرا تلك الحبال
وتمطى ملك الموت الينا عن حيال
فرأينا الموت رأي العين حالا بعد حال

لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مـــال

وقد استطاع الغزال ان يستميل القلوب في بلاط ملك النورمان . ولما سمعت الملكة بذكر الغزال وظرفه ارسلت اليه تطلب ان يواجهها ، فلما قابلته اعجبت به كثيراً ،واستطاع باطرائه لها واطنابه في وصف جمالها ان « يجتلب محبتها وان ينال منها فوق ما اراد » [٤] . وبلغ من ولعها به انها كانت « لا تصبر عنه يوما حتى توجه فيه ، ويقيم عندها يحـــدثها بسير المسلمين واخبارهم وبلادهم ... » [٤]

وكان الغزال ، حين قام بهذه السفارة ، قد شارف الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مع ذلك ممشوق القوام ، قوي الجسم ، حسن الصورة . أمرته يوماً الملكة ان يختضب ففعل ، وجاءها في يوم ثان وقد اختضب ، فمدحت خضابه وزينته له ، فقـــال الغزال في ذلك [٥] .

بكرت تحسن لي سواد خضابي فـــكأن ذاك اعادني لشبابي
ماالشيب عندي والخضاب لواصف الا كشمس جللت بضبـــاب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا فيصير ما ســـترت به لذهـــاب
لا تنكري وضح المشيب فانما هو زهرة الافهـــام والالبـاب
فلدي ما تهوين من شأن الصبا وطلاوة الاخـــلاق والآداب

ا ر مختلف فى اتجاه سفارته :

اختلفت المصادر القديمة كما اختلف الباحثون المحدثون في سفارة الغزال هل كانت الى القسطنطينية في المشرق أو الى احد بلدان شمال غرب اوربا وبالتحديد الى الدانمارك أو الى بلد في شبه جزيرة اسكندنافية .

فقد ذكر ابن سعيد في المغرب [٦] ان عبد الرحمن الأوسط (توفي سنة ٢٣٨) انما ارسل الغزال الى صاحب القسطنطينية رسولا من قبـــله . وفي النفح [٧] انه بعث يحيى الغزال الى ملك القسطنطينية ايضاً ، ولعله ينقل هنا عن المغرب .

وفي مكان آخر من نفح الطيب[٨] نقل المقري عن ابن دحية ان الغزال أرسل الى « بلاد المجوس » وفي صفحة اخرى [٩] نقل عن ابن حيان ان الامير عبد الرحمن المرواني « وجه شاعره الغزال الى ملك الروم »

وقد علق الدكتور شوقي ضيف على ما جاء في المغرب بقوله : [١٠] « والحقيقة انه أرسل الى النورمان الشماليين في بلاد الدانمارك » . وهذا ما تؤيده التفصيلات التي ساقها ابن دحية عن هذه الرحلة حيث قال وهو يتحدث عما صادفهم في الطريق الى ملك المجوس : « ... فلما حاذوا الطرف الاعظم الداخل في البحر الذي هو حد الاندلس في آخر الغرب... »[١١] وهذا القول واضح الاشارة الى أن المقصود هو الكتف الاعلى الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الايبيرية ، وهو الداخل فيما يعرف اليوم بالمحيط الاطلنتي ، والذي يحده من الشرق خليج بسكاي ، وهذا هو الطريق البحري الى شمال غرب أوربا والدانمارك ، ويعززه ايضاً وصف ابن دحية ، وهو الذي يقدم لنا أوسع المعلومات عن الرحلة وعن هذه السفارة ، وصفه لطريق عودة الغزال اذ يقول : [١٢] « ثم انفصل الغزال عنهم ، وصحبه الرسل الى شنت يعقوب بكتاب ملك المجوس الى صاحبها فاقام عنده مكرماً شهرين ... »

وشنت يعقوب هذه هي مدينة (Santiago de Compostela) الواقعة الى اقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة .

اما المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فقد انكر في بحث له عن هذه السفارة ، انها كانت الى بلاد النورمان في بعض البلاد الاسكندنافية الشمالية ، وقال ان الصواب هو ان الغزال توجه في سفارته السياسية الى بلاد البيزنطيين في القسطنطينية ورفض رواية ابن دحية في المطرب [١٣] .

ويشير الاستاذ محمد عبدالله عنان الى ان الغزال اوفد في سفارتين مختلفتين احداها الى القسطنطينية والاخرى الى الدانمارك[*] وهذا ما يفترضه الدكتور احسان عباس ايضاً[**]

شعره :

يرى غرسيه غومس ان السر في امتياز الغزال لا يعود الى براعته في الشعر بقدر ما هو بسبب حياته الخاصة الطريفة التي كان يحياها [١٤] .

اما الدكتور احسان عباس فيرى ان الغزال « شاعر الاندلس المقدم على جميع شعراء هذه الفترة » [١٥] . وهو يعتقد ان اتقـــان الغزال للقصص الشعري من السمات الشعرية البارزة التي تميزه عن غيره ، كما في قطعته التي يصف فيها العاصفة البحرية حين كان في طريقه مع يحيى بن حبيب الى بلاط ملك النورمار . ويرى د . احسان عباس ايضا ان شعر الغزال يمتاز بميزتين كبيرتين الأولى قيامه على النظرة الساخرة ، والثانية « وضوح نظراته الفلسفية القائمة على تجربته » .

وفي نظرنا ان القصص الشعري لا يكفي لتحديد السمات الشعرية لاي شاعر عربي ذلك لأن القصص الشعري ظاهرة من ابرز الظواهر الادبية في الشعر العربي ، وهي ظاهرة تكاد تكون عامة بين كبار الشعراء العرب . فهي تبـدو بوضوح في شـعر امرىء القيس مثلا وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة والفرزدق وبشار وابي نواس والبحتري .

اما النظرات الفلسفية القائمة على التجربة الشخصية فهي ، في نظرنا ، القاسم المشترك الذي يلتقي عنده كل من يحاول من الشعراء ان ينظم حكمة أو يعبر عن تجربه . فاذا ظهر احد من الشعراء ومارس نظم الحـكمة دون ان يصدر فيهـا عن تجربة ذاتية فهو ، عندئذ ، ظاهرة متميزة عن سائر الشعراء الحـكميين ، أي عن القاعـدة العـامة والطبيعية في الشعر الفلسفي الحـكمي العربي .

اما ابرز الخصائص التي يتصف بها شعر الغزال ، في رأينـا ، فهي واقعيته التعبيرية ، فهو لا يلجأ الى ما اغرم به الشعراء المشارقة فترة ما ، وهو ما يعرف بين علماء البيان بحسن التعليل ، وانما يسلك الغزال في شعره مسلـكا واقعياً في تعليله لأمور الحياة ، وهذا هو السر ، على ما نعتقد ، في طرافة شعره وظرافة شخصيته ، وهو العلة ، ايضاً ، في ما شاع في شعره

من سخرية مرة . ويظهر هذا واضحاً في الابيات السابقة فهو فيها واقعي يكره طمس الحقائق الواقعة حتى ولو كان الطمس لغرض ادبي محض أو للظهور بمظهر يرضي الحسان ويسرهن ويدفعهن الى التصريح بأستحسانه . فهو يستجيب فعلا لما تغري به الحسناء ، ولكنه يظل صريحاً امام الحقيقة : فالخضاب لايمكن ان يعيد له شبابه حتى ولو استحسنته الحبيبة ويظل الشيب حقيقة واقعة واضحة كالشمس مهما جللها الضباب فلا تلبث ان تبدو ثانية .

وتظهر واقعيته التعبيرية هذه ايضاً في قصائد اخرى يعرض فيها جوانب من الطبيعة الانسانية باسلوب صريح تخالطه مرارة الاعتراف بالواقع غير المسر . فمن ذلك قوله يصف ميل النفس الانسانية الفتية الى الشباب وان كان معدماً ، واعراضها عن الشيخ وان كان ثرياً [١٦] :

وخيرها ابوها بين شيخ كثير المال أو حدث فقير
فقالت خطتا خسف وما ان ارى من حظوة للمستخير
ولكن ان عزمت فكل شيء أحب الي من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى وهذا لا يصير الى صغير

ولعل هذه الأبيات كانت من وحي تجربة شخصية اقدم عليها بعد ان ادركته الشيخوخة .

استمع الى ابيات أخرى له فيها نفس هذا التناول الواقعي لحقيقة انسانية أخرى:[١٧]

ياراجياً ودّ الغواني ضلة ففؤاده كلفاً بهن موكل
لا تكلفن بوصلهن فانما الـ ـكلف المحب لهن من لا يعقل
ان النساء لكالسروج حقيقة فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل ذاك المكان وفاعل ما تفعل
او منزل المجتاز اصبح غاديا عنه وينزل بعده من ينزل
او كالثمار مباحة اغصانها تدنو لاول من يمر فتؤكل

اعط الشبيبة لا ابالك حقها منها فانّ نعيمها متحـــول
واذا سُلبت ثيابها لم تنتفع عنـد النساء بـكل ما تستبدل

لاشك انه صدر في هذه القصيدة ، عن تجارب شخصية مرة مع بعض الغانيات ، جعلته يتشاءم هذا التشاؤم الشديد ويعمم الحكم هذا التعميم البعيد عن الانصاف وعن متطلبات النظرة الواقعية التي لم تكدرها عاطفة متألمة ، ولـكنه على اي حال تشاؤم يعبر عن جانب حقيقي من الواقع الانساني وان لم يكن عاماً في السلوك البشري .

واليك ابياتاً اخرى في نفس هـــذا الاتجاه يبدو فيها شعوره بالواقع واضحاً جلياً ، ولـكنه مفعم بالمرارة [١٨] :

قالت احبـك قلت كاذبـة غرّني بذا من ليس ينتقد
هـــذا كلام لست اقبـــله الشيخ ليس يحبـــه أحـــد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقـــدها فتنعقـــد
أو أن تقـــولي النار باردة أو أن تقـولي الماء يتقـــد

وأي واقعية اصرح واصدق من الاعتراف بعجزه عن جني ثمرة مواصلة النساء له بسبب ذهاب شـبابه وخور قوته ؟ وقـد سلك في تصوير ذلك مسلـكاً قصصياً جميلاً فيه ظرافـة وفيه تهـكم على نفسه بأسلوب هزلي بديع يزيـد من جماله بعده عن الفحش ، ونحن نـكتفي بالاشارة الى هذه القصيدة دون ذكر أبياتها [١٩] .

وقد نظم الغزال ارجوزة تاريخية تناول فيها تاريخ الاندلس منذ افتتاحها حتى زمنه ، اي حتى اوائل امارة محمد بن عبد الرحمن (حكم ٢٣٨ ـ ٢٧٣) . ويفهم هذا من قوله [٢٠] :

ادركت بالمصر ملوكاً أربعه وخامساً هذا الذي نحن معه

ولقد كان للغزال شعر كثير جمعه حبيب بن احمد الشطجيري (توفي حوالي ٤٣٠) في ديوان ورتبه على الحروف [***] الا ان هذا الديوان لم يصلنا .

الغزال وأبو نؤاس :

يبدو ان الغزال كان يميل الى ان يتشبه بأبي نؤاس ، وينحو نحوه في تناول موضوعات اللهو والخمرة بأسلوب الاقصوصة الشعرية . فقد روي عنه انه حينما هجا علي بن نافع المعروف بزرياب المغني واقذع في هجوه ، شكاه زرياب الى الامير فأمر هذا بنفيه عن الاندلس ولكن بعض أكابر الدولة شفعوا له عند الامير فتركه لحاله . الا ان الغزال لم يطب له المقام بعد هذا في الاندلس فرحل ، كما تقول الرواية ، الى العراق ، ووصل الى هناك بعد موت أبي نؤاس بمدة يسيرة ، فوجد القوم هناك معجبين بشعر الحسن بن هانيء اعجاباً شديداً . وضمه ، يوماً ، مجلس مع جماعة من أهل العراق فرآهم يزرون بأهل الاندلس ، ويستهجنون اشعارهم فلما تناولوا في حديثهم ذكر أبي نؤاس قال لهم [٢١] :

من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم ... تأبطت زقي واحتبت عبائي

فلما أتيت الخان ناديت ربه ... فهب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوع العين الا تعلة ... على وجل مني ومن نظرائي

فقلت اذقنيها فلما اذاقني ... طرحت اليه ريطتي وردائي

وقلت اعرني بدلة استتر بها ... بذلت له فيها طلاق نسائي

فوالله ما برت يميني ولا وفت ... له غير اني ضامن بوفائي

وابت الي صحبي ولم أك آئبا ... فكل يفديني وحق فدائي

« فأعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له كل مذهب . فلما افرطوا قال لهم : خفضوا عليكم فانه لي . فانكروا ذلك ، فأنشدهم قصيده الذي أوله :

تداركت في شرب النبيذ خطائي ... وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما تم القصيد بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه » .

ويشك الدكتور احسان عباس في صحة هذه الرواية التي تقول ان الغزال سافر الى

العراق بل هو يشك في انه رأى المشرق ابداً . ولكنه لم يعلل لاسباب شكه هـذا الا بقوله : [٢٢] « ليس هناك من الاسباب المقنعة ما يجعلنا نعتقد صحة هذه الرواية » ولكن اذا لم تكن هناك اسباب تجعلنا نعتقد صحتها ، فليس هناك اسباب تبرر لنا انكارها .

شخصيته وسلوكه :

هناك ثلاث ظواهر في حياة الغزال ، اوقل فيما وصلنا من اخبارها ، تبدو لنا شخصيته في اطارها على الصورة التالية : انه لايقدر مسؤولياته ، وطمع مادي يسيطر على تصرفاته ، وفكاهة انتقادية في اقواله واشعاره .

اولى تلك الظواهر الثلاث تصرفاته مع ملكة الروم حينما أوفد سفيراً للأندلس الى بلاد الدانمارك ، او الى القسطنطينية ، بحسب الروايات التي وصلتنا عن سفارته هذه ، والتي تخلط بين الدولتين ، وتخلط بالتالي ، في اخباره بين ما يمكن ان يكون قد جرى في هذه السفارة او تلك ، ان كانت هناك سفارتان له ، على ما بينا ، تفصيلاً ، في الحديث عن سفارته .

ان تصرفاته تلك تدل على خفة لاينبغي ان يتصف بها من يمثل بلده تمثيلاً رسمياً ، وقد ذكرنا طرفاً من تصرفاته هناك ، وننقل ، الآن ، رواية اخرى ، تعزز هذا الرأي فيه ، وهي ما حكاه ابن حيان في « المقتبس » عن الغزال حينما كان جالساً يوماً عند ملك الروم « واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها ، وهي كالشمس الطالعة حسناً ، فجعل الغزال لايميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه ، فأنكر ذلك عليه ، وامر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عرفه انى قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه فانى لم ار قط مثلها . واخذ في وصفها والعجب من جمالها ، وانها شوقته الى الحور العين ، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده ، وسرّت الملكة بقوله » [٢٣] .

ان تصرفه هذا يفتقر الى آداب الدبلوماسية بالرغم مما تدعيه الرواية من تزايد حظوته عند الملك وسرور الملكة بقوله .

والظاهرة الثانية تبدو بوضوح في ما روي عنه من انه كان في مرة اخرى في حضرة الامبراطور ، وطلب ماء ليشرب « فاحضروا له كأساً من الذهب المزدان بالاحجار الكريمة فلما شرب وارتوى سكب الماء الذي بقي في الكأس على الارض واخفى الكأس في كم عباءته ، ورأى الامبراطور في ذلك ما لايليق وصرح به على لسان ترجمانه فكان رد الغزال عليه : ان امراءنا الذين تبغون صداقتهم قد اعتادوا عند ما يطلب احد السفراء ان يشرب في حضرتهم ان يطلبوا له كأساً ثمينة يمكنه الاحتفاظ بها بعد شربه منها . فاذا كانت عادة سادتي هذه غير متبعة لديكم فاني مستعد لاعادة كأسكم اليكم . وهم السفير باخراجها من كمه الا ان توفلس بادر فأشار اليه بالاحتفاظ بها » [٢٤] .

ان هذه الحادثة، ان صحت،وما اراها الا صحيحة ان لم تكن بتفاصيلها ففي خطوطها العريضة وذلك لأنها تنسجم مع ما نعرفه عن شخصية الغزال وتصرفاته ، فانها تدل على ما لاحظناه على سلوكه من عدم تقدير للمسؤولية ومن طمع يعبث بشخصيته فيوجهها بحسب الاهواء المادية .

ولقد وصلنا من اخباره ما يؤكد هذه الملاحظة ويقررها . فقد روى عنه ان ابا المطرف عبد الرحمن الامير الاموي كان ولاه قبض الاعشار ببلاط مروان واختزانها في الاهراء [*]. وكان ذلك استجابة من الامير لتوسلات شاعره الغزال بأن يوليه هذه المهمة في قصيدة مدحه بها . وحدث ان حلّ بالبلاد قحط شديد فمات الزرع وقل الطعام في الاسواق فارتفع سعره ارتفاعاً كبيراً . فجعل الغزال يبيع من مخزون الطعام حتى اتى على كل ما كان عنده في الاهراء . ثم هطل المطر فرخص الطعام « فأعلم السلطان بما صنع الغزال من البيع فأنكره وقال : انما تعدّ الاعشار لنفقات الجند والحاجة اليها في الجهد ، فماذا صنع الخبيث ، خذوه باداء ما باع من أثمانها واشتروا به طعاماً ، واصرفوه في الاهراء (اي اجعلوه فيها) الى وقت الحاجة اليه . فلما طلب منه ثمن ما باع ابى من ذلك وقال : انما

(*) الاهراء : جمع هري ، بضم الهاء : بيت كبير يجمع فيه القمح وغيره .

اشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الامداد . وبين العددين بون كثير نحو من ثلاثين الفا . فأعلم السلطان بامتناعه من الاداء ، وبما ذهب اليه من شراء مثل ما باع ، فامر بسجنه وحمله اليه في الكبل فسيق منها الى قرطبة وسجن بها » [٢٥] فصنع في السجن قصيدة مدح للامير يقول في آخرها :

ان ترد المال فاني امرؤ لم اجمع المال ولم اكسب
اذا اخذت الحق مني فلا تلتمس الربح ولا ترغب
قد احسن الله الينا معا ان كان رأس المال لم يذهب

ورفع القصيدة الى الامير . فلما قرئ شعره اعجب به واعجب به الحاضرون ، وقال له بعضهم : لقد نصفك الغزال في قوله :

قد احسن الله الينا معاً ان كان رأس المال لم يذهب

فانه لو ذهب ، ايها الامام ، اي ذمة كانت تفي به للغزال مع ما هو عليه من الانهماك في الشهوات وقلة المال ؟ فضحك الامام وامر باطلاقه » [٢٦] .

اما الظاهرة الثالثة فالفكاهة المرحة المنتقدة في شعره وفي اقواله . اما في شعره فمنها هذا البيت الاخير . وتبدو الفكاهة ملازمة له في احرج الظروف واصعبها كقوله في القصيدة التي يصف فيها العاصفة التي هبت على مركبهم وهم في طريقهم الى شمال غرب اوربا والتي تقدم ذكرها [٢٧] .

لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال

وكقوله من ابيات غزلية [٢٨] :

وهي ادرى فلماذا دافعتني بمحال
اتراني اقتضيها بعد شيئاً من نوال

واما الفكاهة في اقواله فمنها ان زوجة ملك الروم سألته يوماً عن سنه « فقال مداعباً لها : عشرون سنة ، فقالت للترجمان : ومن هو ابن عشرين سنة يكون به هذا الشيب ؟

فقال للترجمان : وما تنكر من هذا ؟ ألم تر قط مهراً ينتج وهو اشهب ؟ فضحكت نود (اسم الملكة) واعجبت بقوله » [٢٩] .

زهده :

يروي ابن دحيـة ان الغزال حينما ضاق بـه المقام في الاندلس على اثر هجوه المفحش لزرياب وغضب السلطان عليه لذلك ، رحل الى العراق واقام مدة فيه ثم اخذ يتجول في ديار المشرق . ويبدو انه ضجر من طول التغرب فحن الى مسقط رأسه ، فعاد الى الاندلس «وقد ترك شرب الخمر وتزهد في الشعر وشارف الستين ، وركب النهج المبين ، ولم ينسك نسكاً اعجمياً بل ظرف ظرفاً ادبياً وسلك مسلكاً من البر مرضياً » [٣٠] .

من هذا النص نستطيع ان نتبين طبيعة زهد الغزال فهو زهد من تملكه الضجر بعد ان مارس الحياة وخبرها وبعد ان طواه الزمان وبدل خلقه كله وبراه عضواً فعضواً [٣١] .

وقد عبر ابن دحية عن حقيقة هذا الزهد خير تعبير بقوله : « لم ينسك نسكاً اعجمياً بل ظروف ظرفاً ادبيا » . فهو لم يسلك في زهده مسلك الرهبان المنقطعين عن الدنيا لقناعتهم النظرية بفسادها وعدم جدواها ، بل لقد كان زهده نتيجة ممارسته الفعلية النشطة للحياة حتى استنفد منها كل ما استطاع من ملذاتها ومن حقائقها وحتى استنفدت هي الاخرى منه كل قوته ومظاهر نشاطه حتى تركته وكأن الهيئة التي رسمها هو لجزء من جسمه تصدق على كيانه كله حين قال [٣٢] :

فكأنه ، مما تشنج جلده كير تقادم عهده مثقوب

وعندئذ بدت الدنيا في نظره فاسدة مليئة بالاشجان [٣٣] :

لقد فسدت فما تلقى بها من ليس ذا شجن

وصار الحيّ منا يغبط الملفوف بالكفن

ويبدو ان السبب الاساسي في انصرافه عن الدنيا وزهده فيها هو ضعفه امام الحسان

وعجزه عن مواصلتهن واقتناعه ، عن تجربة ، بانهن، عن طبيعة ، لا يمكن ان يحببن شيخا هرماً ، واذا اظهرن له حباً وتعلقاً فذلك عن تملق ورياء [٣٤] .

ولقد عصر خلاصة خبرته للحياة والعلاقات الاجتماعية فيها ، في اشعاره الزهدية مع ملاحظات دقيقة عن طبيعتها وادراك عميق لجوهرها فاقتنع بأن المصلحة الفردية هي المحرك للأفراد وان النـاس في تربصهم لاختطـاف هذه المصالح يشبهون الثعلب المتربص بالدجاج او القط المراقب للفأر ينتظر الفرصة المناسبة للوثوب عليه [٣٥] :

ما أرى ها هنا من الناس الا ثعلباً يطلب الدجاج وذيبـا

او شـبيهاً بالقط القى بعينيـه إلى فارة يريد الوثوبا

وتتشح نظرته هذه الى الحياة بالتشاؤم القاتم ولـكنها على اي حال مستمدة من الواقع الذي يعيشه وانمـا دوره فيه دور المسجل للملاحظات الدقيقة التي يستخلصها من مراقبتـه لسلوك الافراد وعلاقاتهم ببعضهم ، فهو لم يختلق شيئاً من الخيال ، وانما استمد الحقائق من الواقع مهما بدا مراً كئيباً مؤلماً .

وفاته :

تجمع الروايات التى ذكرت تاريخ وفاتـه على انه توفي في وحدود سنة (٢٥٠ هـ) [٣٦] وبينما يقول ابن حيـان في « المقتبس » انه عمّـر اربعاً وتسعين سنة [٣٧] يذكر ابن دحية انه عمّـر حتى قارب المائة وقيل اربى عليها » [٣٨] .

ويبدو ان رواية ابن دحية هي الأصوب ، ذلك لأن الغزال نفـه ذكر في شعره انه بلغ التاسعة والتسعين [٣٩] :

وما لي لا ابلى لتسعين حجـة وسبع اتت من بعدها سنتان

فاذا صح انه توفي في حدود الخميس والمائتين فان ولادته تـكون في حدود سـنة (١٥٠) هـ .

هوامش

انظر عن الغزال : الحميدي ص ١٨٧ و ٣٥١ ـ ٣٥٣ والضبي ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ والخشني ص ٩٥ و ٩٩ والعقد الفريد ٣/٥٨ و ١٩٠ و ٥/٣٥٢ والتكملة ص ٧٣٢ ـ ٧٣٣ والمطرب ص١٣٣ ـ ١٥١ والمغرب ٢/٥٧ ـ ٥٨ وابن عذاري ٢/١٣٩ ونفح (تحقيق احسان عباس) ١/٢٨٢ و ٣٤٦ و ٢/٢٥٤ ـ ٢٦٢ و ٣/١٨٢ و ٤٣٨ وكشف الظنون ٨٠٤ واحسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١١١ ـ ١٢٢ واحمد هيكل ١٧٢ ـ ١٨٦ .

(١) المطرب ١٣٩ و ١٤٣ ـ ١٤٤

(٢) انظر : المطرب ١٤٣ والمغرب ٢/٥٧ هامش رقم (٤)

(٣) المطرب ص ١٣٩

(٤) نفسه ١٤٣

(٥) نفسه ١٤٩

(٦) المغرب ٢/٥٧

(٧) نفح (تحقيق احسان عباس) ١/٣٤٦

(٨) نفسه ٢/٢٥٧ قارن مع المطرب ص ١٣٨ ـ ١٣٩

(٩) نفح ٢/٢٥٨

(١٠) المغرب ٢/٥٧ هامش (٤)

(١١) المطرب ص ١٣٩

(١٢) نفسه ص ١٤٩

(١٣) ليفي برفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ١١٣ و (Historia de Espana, IV P. 163) وصحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلدان ٩و١٠ سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ص ٤٢٠ ـ ٤٢٤ وانظر ايضاً عن هذا الموضوع : ـ

آ — محمد عبد الله عنان : « سفارة اندلسية الى ملك النورمانيين في القرن الثالث الهجري » في مجلة (الرسالة) المصرية العدد (١٣٢) سنة ١٩٣٦ ص ٤٨ ـ ٥٠

وكتابه : دولة الاسلام في الاندلس (الطبعة الثالثة) ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢

ب — بروكلمان : ترجمة عبد الحليم النجار ٢/١٠٥

جـ — ا . ألين : محاولة لاعادة تحقيق سفارة الغزال الى بلاد المجوس (الفايكنج) ط . لندن ١٩٦٠ (عن صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلدان ٩ و ١٠ سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ص ٤٢٠ ـ ٤٢٤)

وعنوانه بالانكليزية :

Reconstruct Al - Ghazal's embassy to the Vikings . London , 1960 .

د — احسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص ١١٤ ـ ١١٧

هـ — ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس (الألف كتاب) رقم (٨٩) ص ٩٤ ـ ١١٨

و — Pons Boigues , No . 2

(*) عنان : دولة الاسلام في الاندلس (ط . ثانية) ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

(**) تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص ١١٥ .

(١٤) غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ص ٣١

(١٥) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص ١١٨

(١٦) جذوة : ص ٣٥٢ والضبي ص ٤٨٦

(١٧) المطرب : ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ونفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٩

(١٨) نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٧ وانظر احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١١٩ ـ ١٢٠

(١٩) المطرب ص ١٤٩ ـ ١٥٠ و نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٥

(٢٠) انظر : نفح (تحقيق احسان عباس) ١/٢٨٢ و ٢/٢٥٥ وبالينثيا ص ٦٠٣

(***) الحميدي ص ١٨٧ و ٣٥٢ والضبي ص ٤٨٦ .

(٢١) المطرب : ص ١٤٧ ـ ١٤٨ و نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٦٠ ـ ٢٦١

(٢٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص ١١٢ ، وانظر ايضاً الرواية في : نفح (تحقيق احسان عباس) ١/٣٤٦

(٢٣) نفح : (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩ وانظر ايضاً تصرفاً آخر في المطرب ص ١٤٤ ـ ١٤٩

(٢٤) ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٢٥) المطرب ص ١٣٦

(٢٦) نفسه

(٢٧) المطرب ص ١٣٩ وانظر : احسان عباس : الكتاب المذكور ص ١١٦

(٢٨) المطرب ص ١٤٠ وانظر ايضاً امثلة اخرى في ص ١٤٤ و ١٤٨ و ١٤٩ ـ ١٥٠ وانظر احسان عباس : الكتاب المذكور ص ١١٩

(٢٩) المطرب ص ١٤٤ و نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٧ ، وانظر في ص ٢٥٩ جوابه للملكة حينما امرت الترجمان ان يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين الى الختان

(٣٠) المطرب ١٤٨ ـ ١٤٩

(٣١) نفسه ص ١٥٠

(٣٢) نفسه ص ١٥٠

(٣٣) انظر : احسان عباس كتابه المذكور ص ٢٩٠

(٣٤) انظر الكتاب نفسه ص ٢٨٩ المقطوعة (٣) و (٤) والمطرب ١٤٦ ـ ١٤٧ والحميدي ٣٥٢ وبغية الملتمس ص ٤٨٦

(٣٥) احسان عباس ص ١٢٠

(٣٦) نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٦٠ والحميدي ص ٣٥٣

(٣٧) نفح (الطبعة نفسها) ٢/٢٥٤ و ٢٦٠ والحميدي ص ٣٥٣

(٣٨) المطرب ص ١٥٠

(٣٩) نفسه

حكمة علي الاوسي

المراجع

ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة . نشر السيد عزت العطار الحسيني ١٩٥٦

احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠

احمد هيكل : الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة. الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٢

بالينثيا ، آنخل كونثالث : تاريخ الفكر الاندلسي. ترجمة د . حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٥٥

بروكلمن ، كارل : تاريخ الادب العربي . ترجمة : عبد الحليم النجار جـ (٢) . دار المعارف بمصر ١٩٦١

بغية الملتمس = الضبي .

التكملة = ابن الابار .

حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . المطبعة الاسلامية بطهران . الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ

الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي القاهرة ١٣٧١ هـ

الخشني : كتاب القضاة بقرطبة . نشره مع ترجمة اسبانية : ريبيرا . مدريد ١٩١٤

ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب . تحقيق : ابراهيم الابياري وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٤

ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب . جـ (٢) تحقيق : د . شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٥٥

الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس . مدريد ١٨٨٥ م

ابن عبد ربه : العقد الفريد . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ـ الجزء الثالث ١٩٥٢ والجزء الخامس ١٩٦٧

ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار المغرب . بيروت ـ مطبعة المناهل ٤٨ـ١٩٥٠

العقد الفريد = ابن عبد ربه

غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه . ترجمة : د . حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٦

كشف الظنون = حاجي خليفة

ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس . ترجمة د . السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي . القاهرة ١٩٥١

محمد عبد الله عنان : سفارة اندلسية الى ملك النورمانيين في القرن الثالث الهجري . مجلة (الرسالة) المصرية العدد ١٣٢ لسنة ١٩٣٦

— : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر . العصر الاول ـ القسم الاول . (الطبعة الثالثة) القاهرة ١٩٦٠

المطرب = ابن دحية .

المغرب — ابن سعيد .

المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق : د . احسان عباس ـ دار صادر . بيروت ١٩٦٨ وتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي ـ بيروت .

نفح = المقري

Pons Boigues, F., Ensayo biobibliografico sobre Los historiadores y geografos arabigo-espanoles. Madrid, 1898.

Levi-Provencal, Historia de Espana, Tomo IV, Traduccion e introduccion Por Emilio Garcia Gomez. Madrid, 1957.

A. Gonzalez Palencia, Historia de la literatura arabigo-espanola, Madrid, 1945.